حضور (المليك.. الإنسان)

في ذاكرة الملك عبد اللّه.. ووجدان الملك سلمان!!

أطيافُ الحزن التي تحاصرنا لا يمكن أن تنسينا حضور شخصية الملك عبد الله، العزيز على قلوبنا - رحمه الله- إذ تشهد أعماله وإنجازاته بكل ما حقق، وغرس، وبذل في حياته وحياتنا من بناء وتأسيس وتطوير وتحديث للمعمار التنموي، والاجتماعي، والاقتصادي في مشروعات مختلفة متوزعة عبر منظومات شتى، تنهمر في جداول المصلحة، والمنفعة العامة للوطن والمواطن، والإنسانية.

عشر سنوات حافلة بالعطاء والازدهار، هي استمرار لفعاليات مثمرة في سنوات خدمة ومعمار وبناء ورعاية واهتمام غرستها أيادي الملك عبد الله بن عبد العزيز منذ انطلاقه في نسيج الريادة والمسؤولية في تأسيس كيان الفروسية والحرس الوطني.

وكانت الثمرات ونتاج الغراس شاهدة على الريادة والإبداع وقد غمرتنا تجلياتها المشرقة في عهده المكتظ بفعاليات البناء والتنمية لمشروعات ضخمة، وتوسعات كبرى في مسارب شتى، ابتداءً من (توسعة الحرمين الشريفين) إلى تأسيس وبناء كبرى الجامعات والمشروعات الاجتماعية والاقتصادية، والأساسية التي ستظل شاهدة على روعة العمران والبناء أعواماً متتالية معبرة عن العناية والإخلاص والمصداقية، والحضور الأثير للمنجزات الوطنية الرائعة.

وقد عبرتُ عن أصداء هذا الحضور لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في هذه القصيدة التي نُسجت محتفية بحضور يعد بمثابة العيد الذي يبتهج به المواطن الذي يشهد هذه المنجزات الحضارية.

حضور المليك:
(من آخر كتاب: حضور المليك)

العيد: أنت حضوره والدارُ
ضاء الوجود، وهلّت الأمطارُ
قلق تملّكني فديتك عندما
خفتُ، وحارتْ نحوك الأخبار
خبرٌ يسابق في رحابك هاطلاً
وبشائرٌ تهفو لها الأعمارُ
ما نافستْكَ على الوفاء شمائلٌ
إلا تألق نبضك/ الإيثار
نهر تدفق بالحنان وهاجس
يسمو به من خافقيك فنار
من راحتيك تبلورت آمالنا
صرح وجامعة تضوع ودارُ
وروائع الفرص التي حولتها
لغة، وبعثة طامح يختارُ
ومناهج تجديدها متدثّرٌ
برؤى الحكيم، ومن إليه يُشارُ
وتخصص، أنىّ توجه يرتدي
حلل الفضيلة والعلوم دثارُ
وريادةٌ أنت الخبيرُ بشأنها
فاسلم، فكل المنتدين حوارُ

للمبدعين نسجت أثمن نخبة
مما يتاح، وبالعقول يدار
يا من جعلت الفكر رائد نهضة
ومعبراً قد صاغه الأبرار
وإذا المواهب في رحابك فتيةٌ
لطموحهم تتلفت الأفكار
يا خادم الحرمين: حبك فتنة
يهفو لها الأطفال، والأخيار
والأمهات على حضورك لهفة
يستبشرون بوجه من يُختار
دام التألق في رحابك شعلة
من ضوء شمسك بالوفاء تنارُ
ورؤى الحضارة شاخصات تلتقي
بين الشواهد شعّت الأقمار
حضرت بحضرتك البشائر تجتلي
بالخير يهطل، كلنا استبشار(1)

<<<

ولكن: بعد رحيل مليكنا العزيز، والدنا العظيم الملك عبد الله بن عبد العزيز تلعثمت الكلمات، وحارت الأفكار في التعبير عن معاناة الحزن والفراق لهول الفجيعة بفراق من ملك الوجدان بحضوره وحنانه الأبوي، وحرصه على أبنائه، شعبه، أمته واهتمامه بهم - غفر الله له ورحمه وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

رحيل الملك

زُويت لك الدنيا فلم تر بابا
إلا وأُشرع يأنس الترحاب
جاءتك من كل الدروب جداول
وصحائف تستشرف الأحبابا
من كل صوب في العزاء، توافدوا
محضوا الوفاء، وشيعوا من غابا
لولا التفتَّ إلى الوفود رأيتهم
يستنطقون حضورك الخلابا
هذي رعاياك التي غادرتها
حزنى، تئن ولا تطيق غيابا
ولك المآثر تستفيض، وتنتقي
عبق الوفاء، وشجوها السكابا
ومنائرُ الحرمين تنطق شاهداً
بالمنشآت تحيطها أسرابا
ومياه زمزم حين أضحت أنهراً
في عهدكم، عودتها التسكابا
والولدان، وما غرست لبرهم
من منشآت تسعد الأحقابا
والجامعات تتابعت في عهدكم
متنافسات تغمر الطلابا
ولـ(نورة) صرح الوفاء مشيد
يدعو الفتاة، ويشرع الأبوابا
هذي منابرك التي سوّغتها
أدباً يصوغ محاوراً، وخطابا
ضاءتْ بحضرتك الديارُ، وعندما
ودعتها، هطلت ندىً سكّابا
يا خادم البيتين: نبضُكَ حاضرٌ
قمم الوفاء يوزعُ الترحابا
عهدٌ تدثر بالتنافس، والندى
والمغدقاتُ به تزفُ شبابا
تُحيي النفوس بنهضةٍ وثابة
وتديرُ عصراً يرفضُ الإرهابا
وإذا امتطى للمفسدين توجُّهٌ
كان السلام، ونهجه الغلّابا
والحكمةُ الفضلى تفلُّ حرابهُ
وتُحكّم الرشد المضيء كتابا

إنسانية ملك

وحين أشرقت بوادر العهد الجديد لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز كانت بلسماً يطمئن النفوس الحزينة، ويُغدق عليها زخات من غيث البشر والأمل والتفاؤل يشطحُ بها عن تراكمات الحزن، وآلام الفراق وهواجسه، وانهمرت شلالات العطاء سخيةً كريمةً، تذكّرنا بسجاياه وأعماله الخيرية التي ألفها، واعتاد عليها شعبه منذ حين متمثلةً في موّازرة المشروعات الخيرية ومباركتها، ودعمها ورعاية بقائها واستمرارها، ومنها:

1- جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في مناطق المملكة.
2- جمعيات البر الخيرية.
3- جمعية رعاية الأطفال المعوقين.
4- رعاية الأيتام.
5- لجان مناصرة ودعم فلسطين، والجزائر، والصومال، والبوسنة، والهرسك، وغيرها.
6- اللجان الخيرية لأصدقاء المرضى.
7- لجان الإغاثة.

وهنا أتوقف أمام الجانب الإنساني الخيري لهذه المشروعات الخيرية الرائدة التي ظلت منغرسة في وجدان سلمان بن عبدالعزيز لمعرفته وعمق إحساسه بحاجة مجتمعه وأمته لحضور الجوانب الإنسانية، والتكافل الاجتماعي الذي يضمن الأمن والإيلاف والمحبة والإخاء، والصلة بينهم إلى الأبد.

ولا ينسى دعمه للثقافة والصحافة، وحضوره الأثير في ملتقياتها، ومنابرها، وعنايته بشؤونها من (دارة الملك عبدالعزيز) إلى (مكتبة الملك فهد الوطنية) إلى الجامعات والجمعيات ومحافلها، ووقوفه معها ورعايتها.

رعاية الأيتام

تتوقف الإنسانية طويلاً أمام رعاية الأيتام والعناية بشؤونهم كل موقف ذكرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ولد يتيماً ونشأ يتيماً، ولا زال «اليتم» يتعطر بذكره وشمائله -عليه الصلاة والسلام- لذلك يحظى كل من عُني بهذه السيرة الفضلى وتجلياتها يتدثر بالقدوة السنة لخير البشر.

ذات مساء مفعم بمشاعر الإنسانية والوفاء عرض التلفزيون حفلاً للأيتام برعاية الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض -آنذاك-، وفي أجمل فقرات الحفل نشيد مسكون بالبراءة والحنان أنشد فيه نخبة من الأطفال «الأيتام» نشيد (بابا سلمان) فعبرت عدسة الكاميرات على وجه (راعي الحفل) فإذا عيناه تنهمران بالدموع!! احتضنت المشهد، وبكيت، وانهمرت الأبيات التالية في قصيدة اليتيم في عيني سلمان):

اليتيم في عيني سلمان

عيني ترقرقُ بالدموع، وتغرقُ
ويداك تمسحها، وعطفك يغدقُ
وسحابة الحرمان ولّت حين ما
هطلت سحائبك -المنى- تستغرقُ
ما كان أصدقها عواطفك التي..
سبقت مدامعنا التي تغرورق
أجهشت بالدمع الغزير فأمطرت
مُزن الوفاء وشائجاً تتدفقُ
أشرعت للإحسان ألف وسيلة
وغرست أشجاراً سنابل تسمقُ
حتى إذا حان القطاف رأيتها
جنات خير بالندى تتفتقُ
نسجت مآثرك النبية قدوة
للباذلين، ونخوة تتعشق
بادرتها برؤى السخاء.. فعبرت
صُورُ الجمال قلائداً تستنطق
«سلمان» يا أبتي: حضورك بهجة
جعلت كوابيس الهموم تمزّق
هربت طيوف الحزن والفقد التي
كانت تؤرّقنا.. فأنت الأصدق
سلمان يا أبتي: شكوت فكنت لي
نعم الأبُ الحاني. ونعم المشفق
أنسى التفت.. فتلك أم أرمل
ومشاعرٌ ثكلى.. وحزنٌ أعمق
سلمان يا أبتي أرقت فكنت لي
عوناً لموجدتي، ونعم الفيلق
سلمان يا أبتي حزنت فكنت في
كل المواقف حاضراً..تتألقُ
كم كان يحلم - بالأماني- فاقدٌ
للحب والإيلاف -يهوى.. يعشقُ
سلمان يا أغلى حروف طرّزت
صور الوفاء، وأجبرتها تنطق
صُغنا نشيداً.. أنت نبض حروفه
عينٌ معبرةٌ.. وقلبٌ يخفق
حلّقت في وجدان كلّ ميتّم
فرأيتهم - يا والدي- بك عُلقوا
يا كافل الأيتام: نعم خليقة
ما يرتضيه المؤثرون ويصدق
أعلنت للإيثار أجمل صفحة
وجلوتها.. فازدان فيها المنطق
أسرجت للبذل الجياد.. وأسرجت
خيلٌ مطهّمة أجوراً تسبقُ
هذي ميادين التنافس أشرعت
خيل البراءة في ذراها الأبلق
من كان يمنحنا الوفاء سوى الذي
جعل الوفاء شريعة لا تخلقُ
وتوحّدت أصواتنا فتلاحمت
لا تكذب الأصداء حين نصدق

يا والدي سلمان كحّلُ بالمنى
عين اليتيم.. فعينه تتحرّقُ
وازرعْ له درب الحياة شتائلاً
تزهو به الآفاق.. وهو يحلّقُ
في موئل الإحسان كنت له أباً
يرعاه في سبل الحياة ويسمقُ
أنّى التفت على الفضائل والندى
حضرت بحضرتك الجموع وحلّقوا
هذا تحاوره، وذلك مطرق
وعيون برّك بالوفاء تحدّقُ

وبعد:

فستظلُّ ذاكرتنا تتحدث، وقلوبنا تشهد، وأبناؤنا يتطلعون إلى أيام وأعوام مشرقة بالأمل والتفاؤل والارتقاء في عهد مليكنا الإنسان «سلمان بن عبدالعزيز» الذي عوّدنا على الحضور الأبوي الرفيع، بنبله، وتجاوبه وأريحيته، وفّقه الله ورعاه وأعانه على قيادة المسيرة بالحزم والعدل والارتقاء..

عبدالله بن سالم الحميد
a.s.alhumied@hotmail.com
(1) شعر عبدالله بن سالم الحميد،
http://www.alhumied.com

بين عمر بن عبد العزيز وسلمان بن عبد العزيز

عُيّن عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة المنورة سنة 86 هـ، ثم ضُم إليه ولاية الطائف سنة 91 هـ، وبذلك أصبح واليًا على الحجاز كلها، وكان من شروطه لتولي الإمارة عليها: «أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدًا، ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال» ولما رأى سليمان بن عبد الملك نزاهته وفطنته عينه وزيراً له، ثم عهد إليه بالحكم من بعده تلقى عمر بن عبد العزيز علومه الشرعية وأصول الدين وحفظ القرآن الكريم على يد شيخيه صالح بن كيسان وسعيد بن المسيب، -رحمهما الله- وكان شديد الاتباع للسنة، ومن أقواله في ذلك: «لو كان كل بدعة يُميتها الله على يدي، وكل سنة ينعشها الله على يدي، ببضعة من لحمي حتى يأتي ذلك من نفسي كان في الله يسيرًا» بويع عمر بن عبد العزيز بتولي مقاليد الحكم بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ فجمع جماعة من الفقهاء والعلماء وقال لهم: «إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي بعض حكام الأقاليم، فما ترون؟ فقالوا: إن ذلك أمر كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غصبها، فلم يرتح عمر إلى قولهم، وأخذ بقول جماعة آخرين من العلماء ومنهم ابنه عبد الملك الذي قال له: أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل كنت شريكاً للذين أخذوها ظلماً، فاستراح لهذا الرأي وقام برد المظالم إلى أهلها».

وكان قبل أن يتولى الحكم قد تمرس في الإدارة والياً وحاكماً، واقترب من صانعي القرار ورأى عن قرب كيف تدار الدولة وخبر الأعوان والمساعدين، مما أكسبه الخبرة والتجربة على تحمل المسؤولية ومباشرة مهام الدولة، فكان يختار ولاته ووزراءه بعد تدقيق شديد، فلا يلي في عهده إلا من رجحت كفاءته وعلمه وإيمانه، وكان يتابع ويراقب ولاته في تطبيق سياسته العامة التي وضعها للدولة ومن أهم قراراته بعد توليه الحكم أن ركز على تطهير الجهاز الحكومي من المتنفذين الذين شوهوا سمعة الدولة بأعمالهم وظلمهم للناس، وعين بدلاً منهم من عُرف بالصلاح والعلم والورع، ومما قاله لأحد المتنفذين: «أغرب عني يا ظالم رأيتك تُجلِس الناس في الشمس وتجوعهم وأنت في القصور والاستبرق» كما أسس مجلسًا للشورى واهتم بالنواحي الاقتصادية كإصلاح كثير من الأراضي الزراعية، وإقراض المزارعين، وحفر الآبار، وشق الطرق، كما اهتم بالناحية العلمية، فشجع الناس على حفظ القرآن الكريم، وأمر بتدوين الحديث النبوي وجمعه، كما أمر بالتسديد عن المعسرين والسجناء وقضاء ديونهم وإطلاق سراحهم، فتم إطلاق السجناء فلم يبق في السجون سجين واحد، وفتح باب الحوار مع الخوارج واستمالهم بالحجة فغلبهم بأخلاقه وعلمه وانصاع كثير منهم للحق ورجع عن غيّه واشتهرت ولاية عمر بن عبد العزيز بأنها الفترة التي عم فيها العدل والرخاء في أرجاء البلاد.

وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد، فمن يقرأ سيرة وحياة الملك «سلمان بن عبد العزيز» يرى التشابه الكبير بين مليكين وإمامين كبيرين أنجبتهما الأمة العربية الإسلامية في زمنين متباعدين، فقد تربى الملك سلمان بن عبد العزيز في بيت العلم والدين والحكمة بيت الموحد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله- فحفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره على يد شيخه «عبد الله خياط» إمام وخطيب المسجد الحرام كما عُرف الملك سلمان باهتمامه بالعلم والعلماء، وكان قوي الصلة بهم وذلك بزيارتهم في منازلهم، كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ عبد الله بن جبرين - رحمهم الله- وتعمقت صلته بالعلماء المعاصرين أمثال سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ كما أسس جائزة سلمان بن عبد العزيز لحفظ للقرآن الكريم، للبنين والبنات، وخصص لها من ماله الخاص مبلغ مليوني ريال توزع على المتفوقين في حفظ كتاب الله، وهو الرئيس الفخري للجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، والرئيس الفخري للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة الرياض، وهو رئيس مجلس إدارة جمعية البر الخيرية وفروعها بمنطقة الرياض، وله مجلس يعقده في قصره كل أسبوع يحضره العلماء وعامة المواطنين.

كانت بداية دخوله العمل الرسمي بتاريخ 11 رجب 1373 هـ عندما عين أميرًا وحاكمًا إداريًا لمنطقة الرياض، ثم تم تعيينه نائبًا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرًا للدفاع ووليًا للعهد في 28 رجب 1433 هـ وقبل ذلك وزيراً للدفاع، ثم تولى مقاليد حكم البلاد بعد وفاة الملك عبد الله بن عبد العزيز في 3 ربيع الآخرة 1436 هـ.

وحيث إنه قبل تولي الحكم كان قد تمرس بالإدارة، حاكماً إدارياً ووزيراً ووليا للعهد، وقريباً من صانعي القرار، فقد أكسبه كل ذلك الخبرة والتجربة على تحمل المسؤولية، ومباشرة مهام الدولة، فكانت قراراته بعد توليه الحكم أن ركز على تطوير الجهاز الحكومي، فأصدر بعد مبايعته ما يزيد على ثلاثين أمراً ملكياً، تنم عن خبرته الإدارية، تمثلت في إعادة تشكيل مجلس الوزراء، كما ألغى اثني عشر مجلساً وهيئة وأمر بإنشاء مجلسين هما مجلس الشؤون السياسية والأمنية ومجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية الاقتصادية، كما أصدر قرارات تدل على عطفه ورحمته بالمواطنين تتمثل في أمره بصرف راتب شهرين لجميع موظفي الدولة السعوديين من مدنيين وعسكريين ولجميع طلاب وطالبات التعليم الحكومي داخل المملكة وخارجها، وصرف معاش شهرين للمتقاعدين على نظام المؤسسة العامة للتقاعد ونظام المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، وصرف مكافأة راتب شهرين لمستفيدي الضمان الاجتماعي، وصرف مكافأة إعانة شهرين للمعاقين، وضم قوائم الانتظار للمعاقين لإعانة المعاقين، وتعديل سلم معاش الضمان الشهري، كما أمر بصرف مبلغ مليارى ريال دعماً للجمعيات المرخصة بوزارة الشؤون الاجتماعية، وبدعم مجلس الجمعيات التعاونية بمبلغ مائتي مليون ريال، وبتقديم دعم مالي للجمعيات المهنية المتخصصة المرخص لها بمبلغ عشرة ملايين ريال لكل جمعية ومما يدل أيضاً على رحمته بالمواطنين والمقيمين، وحرصاً منه على لم شمل الأسر، ولوجود بعض من أبناء الوطن وبعض الوافدين إلى هذه البلاد في السجون جراء ديون أو قضايا مختلفة، أمر بالعفو عن السجناء في الحق العام من الغرامات المالية بما يصل إلى خمسمائة ألف ريال لكل سجين في ذلك، وكذلك التسديد عن سجناء الحق الخاص المطالبين بحقوق مالية بما يصل إلى خمسمائة ألف ريال، كما شملت أوامره الملكية،التي تدل على حرصه على التنمية اعتماد مبلغ 20 مليار ريال لتنفيذ خدمات الكهرباء والمياه، وقد بلغ إجمالي النفقات التي تضمنتها الأوامر الملكية 110 مليارات ريال سعودي.

ومما يدلل على إتباع الملك سلمان بن عبدالعزيز لمنهج السلف الصالح ما جاء في أول خطاب له للأمة بما نصه: «سنظل بحول الله وقوته متمسكين بالنهج القويم الذي سارت عليه هذه الدولة منذ تأسيسها على يد المؤسس عبد العزيز - رحمه الله- وعلى أيدي أبنائه من بعده - رحمهم الله- فدستورنا هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم» كما يدل على عدل الملك سلمان وتقواه كلمته التي وجهها للمواطنين بما نصه: «كل فرد من رعيتنا يحس بظلم أو أن ظلماً وقع عليه يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها عن طريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو بالبرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي وأحفادي وأهل بيتي، وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكوى، مهما كانت قيمتها سيقع عليه عقاب شديد؛ لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد أو عدم نجدة مظلوم.. اللهم بلغت اللهم فاشهد».

بعد كل ما تقدم عن هذين المليكين السلفيين عمر بن عبد العزيز وسلمان بن عبد العزيز، ألا يحق للأمة العربية والإسلامية أن تفخر بهما وأن يكونا نموذجين للعدالة ولما تنشده الشعوب العربية والإسلامية في قادتها؟ كما يحق لنا كمواطنين أن نفخر بمليكنا سلمان بن عبد العزيز ونتأمل كل الخير والصلاح لبلادنا في عهده الميمون، ويتبقى أن نكون عوناً له في تحقيق آماله بما فيه الخير لبلادنا وللإسلام والمسلمين.

د. عبد الوهاب بن منصور الشقحاء
> عضو هيئة التدريس بكلية المجتمع ببريدة، جامعة القصيم